

فقه السنن الربّانيّة الجارية في الأمم والحضارات والدول والجماعات

إعداد: أ. عباس أبو تيم شريفة



حقوق الطبع والنشر مسموحة لكل المسلمين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين و الصلاة والسلام على سيدنا وأسوتنا محمد وعلى اله
واصحابه أجمعين

إن الناظر إلى الأحداث الجسيمة والنوازل العظيمة التي أحاطت اليوم بالعالم عامة
وبالأمة الإسلامية خاصة وبالساحة السورية على الاخص لا يستغرب حدوثها ولا
نفاجا بها حينما نرجع إلى كتاب ربنا وننطلق من توجيهاته في ضوء سنن الله التي
لا تتبدل ولا تتغير ولا تحابي فردا على حساب فرد، ولا مجتمعا على حساب مجتمع
آخر ؛ فالنتائج التي قد يتطلع إليها على وجه الأرض أكثر المؤمنين إيمانا وأشدهم
ورعا وتقوى سوف يجنيها أكثر الكافرين كفرا وأشدهم فسقا وفجورا وعتوا إذا وافق
السنن التي قد حددها ربنا لتسير الأمور على وفاقها: **(وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا)**

ومرجع ذلك أن السنن الربانية في الحياة البشرية دقيقة كل الدقة، صارمة منتظمة
أشد الانتظام، لا تحيد ولا تميل، ولا تحابي ولا تجامل، ولا تتأثر بالأماني وإنما
بالأعمال، وهي في دقتها وانتظامها وجديتها كالسنن الكونية سواء بسواء.

**لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِيَّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلُ سُوءًا يُجْزَى بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ
وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا (123) النساء**

(سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ)

وما أصاب الأمة الإسلامية اليوم من غثائية فأصبحت كالقصعة المستباحة إلا بسبب
جهل أبنائها بالسنن الإلهية التي تحكم حياة الأفراد والأمم والشعوب، وفق المنهج
الذي قرره العليم الخبير: **(أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ) تبارك،** ثم
اصطدامهم بها فالذي يطلب الأسباب ليخرج من ظلمات هذا التيه على غير بصيرة
لا يزيد إلا بعدا، ولن يفهم التاريخ، فيعرف عوامل البناء والأمن والاستقرار والبقاء
والتمكين، وعوامل الهدم والخوف والتدمير و الاستبدال إلا بمعرفة سنن الله عز
وجل.

وفي هذا البحث المتواضع عملنا على القاء اضاءات في فقه السنن الالهية في الامم
والحضارات والدول والجماعات

التعريف بالسنن:

للسنن عدّة معانٍ منها: سن الماء على وجهه أي صبه عليه صباً سهلاً، والسنن: القصد، ويقال: بنى القوم بيوتهم على سنن واحد: أي على مثال واحد. ابن منظور، لسان العرب، ص (222).

وجاء في مختار الصحاح: السنُّ الطريقة، يقال: استقام فلان على سنن واحد، ويقال: امض على (سننك) و(سننك): أي على وجهك، وتنحّ عن (سنن): الطريق، و(السنة): السيرة، و(سنّ) السكين: أحده، و(المسنّ): حجر يحدد به، وكذلك (السنان): وهي سنان الرمح وجمعه أسنة. الرازي، مختار الصحاح، ص (317).

والسنن من الله: أحكامه وأمره ونهيه، والسنة: السيرة حسنة كانت أو قبيحة، قال الله - تعالى -: وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى ويستغفروا ربهم إلا أن تأتيهم سنة الأولين (55) {الكهف: 55}، سنة الأولين: أنهم عاينوا العذاب.

ويقصد بالسنة: الاتباع، ففي الحديث: "من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها" أخرجه ابن ماجه برقم (168)، وقال عنه الألباني: (صحيح)، وأخرجه مسلم باب "من سن سنة حسنة أو سيئة،

وكل من ابتداً أمراً عمل به قوم بعده قيل هو الذي سنه.

وقد تكرر في الحديث ذكر السنة وما تصرف منها، والأصل منه الطريقة والسيرة، وإذا أطلقت في الشرع فإنما يراد بها ما أمر به النبي - صلى الله عليه وسلم -، ونهى عنه، وندب إليه قولاً وفعلاً مما لم ينطق به الكتاب العزيز؛ ولهذا يقال في أدلة الشرع: الكتاب والسنة أي القرآن والحديث.

والسنن الربانية نوعان: سنن خارقة، وسنن جارية:

أ_ **السنن الخارقة:** هي التي يجريها الله على خلاف المألوف، على يد رسول من رسله، تأييداً من الله له بتلك المعجزة، كما حوّل العصا حية في يد موسى - عليه السلام -، وكما نبع الماء من الصخرة عندما ضربها موسى بعصاه، وكما فلق البحر إلى سبع طرائق قدا بتلك العصا لنبي الله موسى - عليه السلام -، فخرق قانون الإستطراق الذي يحكم الماء وكما شق القمر نصفين معجزة لرسول الله - صلى الله عليه وسلم -

ب _ السنة الجارية: وهي نوعان:

- 1- سنة متعلقة بالأمر الطبيعي، كسنة الله في تعاقب الليل والنهار، والشمس والقمر، فهي تجري وفق ناموس محدد قدره الله لها.
- 2- وسنة متعلقة بدين الله وأمره ونهيه ووعده ووعيده، فهي ثابتة لا تتبدل، مثل: نصره لأوليائه، وإهانتة لأعدائه، كما أنه - سبحانه وتعالى - إذا حكم في الأمور المتماثلة بحكم، فإن ذلك لا ينتقض ولا يتبدل ولا يتحول، فهو - سبحانه وتعالى - لا يفرق بين المتماثلين وإذا وقع تغيير فذلك لعدم التماثل، كما أن من سنته التفريق بين المختلفين كما دلّ على ذلك القرآن **قال - تعالى** :- **أفجعل المسلمين كالمجرمين 35 {القلم: 35}**.

والسنن الكونية

- 1- منها ما يخص الكون، ومنها ما يخص الإنسان كفرد من أفراد هذا الكون، فالكون مخلوق لله - تعالى - مسخر للإنسان، ليس له إرادة، وهو مضبوط بسنن ونواميس، يطلق عليها اليوم اسم "قوانين الطبيعة"
- 2- ومنها ما يخص الامم و الحضارات والجماعات والدول قوة وضعفاً قياما وسقوطا فالمقصود بالسنن الإلهية: هي القوانين الحاكمة قدرا في العباد التي تجري باطراد وثبات وعموم، في حياة البشر.

فعلى الجماعات الاسلامية أن تفقه سنن الله في الدعوات والدول، وهي دساتير ثابتة في حركة المجتمعات وزوال وقيام الحضارات والدول ووعليها يمكن تحديد المنحنى البياني لقوتها وضعفها صعودا وسقوطا،

وهذه السنن سنن ثابتة لا تُجامل نبياً مرسلأ ولا ولياً مقرباً، وهي تفعل فعلها بالمجتمعات كما تفعل قوانين الفيزياء والكيمياء فعلها في المادة،

وهي تختلف عن السنن الكونية التي ربما تُخرقُ لنبي أو ولي، ولكن هذه السنن لا تتخرم ولا تتخلف،

والجهل بهذه الدساتير يجعل من الجماعات الاسلامية تقف متخبطة متحيرة أمام الأحداث تقع قدرا على ما حددته حكمة الله تعالى بين مقدمات هذه السنن ونتيجتها الحتمية فمعرفة السنن التي تؤدي لحدوث الظواهر سواء كانت مادية أو إنسانية، ما يفيدنا في التحكم بهذه الظواهر، بمعرفة شروطها وأحكامها وموانع حدوثها، ويجعلنا

قادرين على تسخيرها لصالحنا والاستفادة منها وتوظيفها في تصريف شؤون حياتنا، مما يبسر لنا مهمة الاستخلاف في الأرض وبناء الحضارة.

معرفة السنن الربانية تمكننا من الفهم الصحيح عند شح المعلومات او تزويرها ، كما تساعدنا على كشف زيف الأخبار وتساعدنا على فهم الواقع وتحليله والتنبؤ بمسار الاحداث

فمن خلال السنن الإلهية نفهم التاريخ، ونفسر أحداثه تفسيراً شرعياً سليماً ينفعنا في تقييم حاضرنا وتوقع مستقبلنا ؛ وللأسف كثير من المسلمين اليوم لا يملكون القدرة على ربط النتائج بالأسباب، وكشف اللثام عن حقيقة السنن بل قد يدهشهم الواقع دون تفسير حقيقي لما سيكون في الغد من أحداث، قد تكون سعيدة أو مؤلمة.

أما أصحاب البصائر من أهل العلم فهم يعرفون عوامل البناء والأمن والاستقرار والصحة والرفاهية، وعوامل الهدم والخوف والجوع والمرض،

السنن الربانية في الخلق هي لغة الكون ونحن في حاجة إلى معرفتها كيلا نصادمها وكي نتعامل مع أحداث الحياة بمنطقية وموضوعية.

خصائص السنن الكونية

1-إن السنن الإلهية ثابتة لا تتغير ولا تبدل. لثبات: أي لا تتبدل ولا تتغير

(فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا)[42].

فهي عبارة عن قوانين وقواعد أشبه ما تكون بالمعادلات الرياضية، قد خلقها الحق سبحانه لتنظم وتحكم حركة الكون والحياة والأحياء، وتحكم حركة التاريخ، وتنظم ناموسية التغيير، وتحكم بالدورات الحضارية، موضحة عوامل السقوط وعوامل النهوض الحضاري.

2-حاكمة لا تحابي ولا تجامل. من راعها راعته ومن صادمها غلبته

3- مطردة لا تتوقف ولا تتأجل. اذا وجدت مقدمتها ستفضي الى نتائجها أي التكرار أينما وجدت الظروف المناسبة مكانا وزمانا وأشخاصا وأفكارا: (قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ)[48].

"جاء القرآن يبين للناس أن مشيئة الله تعالى في خلقه إنما تنفذ على سنن حكيمة وطرائق قديمة، فمن سار على سنته في الحرب مثلا ظفر بمشيئة الله وإن كان ملحدا..، ومن تنكبها خسر وإن كان صديقا..، وعلى هذا يتخرج انهزام المسلمين في وقعة أحد حتى وصل المشركون إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - فشجوا رأسه، وكسروا سنه..

4- عامة لا تنتقي ولا تنتخب ولا تستثني. لا تشذ عنها أمة ولا حضارة ولا جماعة أي أنها تشمل كل البشر والخلائق دون استثناء وبلا محاباة

(لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِيَّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا)[44].

فهي حاكمة على جميع الأفراد، والأمم والمجتمعات، فإذا وقفنا عند قانون من قوانين الله تعالى كقانون النصر نعلم أن له ضوابط ومعالم تنسحب على الجميع دون مجاملة ولا محاباة.

في التعامل مع هذه السنن علينا تحاشي المغالبة والقفز على السنن او المواجهة معه

1- يجب دفع الأمر الكوني بالأمر الشرعي ولكن مع تحاشي المغالبة:

قال تعالى: {فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسِكَ عَلَىٰ آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا} الكهف:6
{قُلَا تَذَهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ} فاطر:8

2- كما لا يجوز القفز على السنن "إِنَّ الْمُنْبَتَّ لَا ظَهْرًا أَبْقَى وَلَا أَرْضًا قَطَعَ"

(لكل أمة أجل)

أولاً - سنّة الابتلاء

الثورة في وجه الطغاة ليست دربا مفروشا بالورود والرياحين ان طريق مخضب بالدماء عقبة كؤود مضرس لا يجوزه الا الصابرون من أهل اليقين

قال تعالى

أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ (2) وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ (3) العنكبوت

عن خباب بن الأرت -رضي الله عنه- قال: شكونا إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة، قلنا له: ألا تستنصر لنا؟ ألا تدعو الله لنا؟ قال: (كَانَ الرَّجُلُ فِيمَنْ قَبْلَكُمْ يُحْفَرُ لَهُ فِي الْأَرْضِ فَيُجْعَلُ فِيهِ، فَيَجَاءُ بِالْمِنْشَارِ فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ فَيُشَقُّ بِأَنْتَنَيْنِ وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَيُمَشَّطُ بِأَمْشَاطِ الْحَدِيدِ مَا دُونَ لَحْمِهِ مِنْ عَظْمٍ أَوْ عَصَبٍ وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَاللَّهُ لِيَتِمَّنَّ هَذَا الْأَمْرَ حَتَّى يَسِيرَ الرَّكْبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ لَا يَخَافُ إِلَّا اللَّهَ، أَوْ الذَّنْبَ عَلَى غَنَمِهِ، وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ) رواه البخاري (3416).

رفض رسول الله صلى الله عليه وسلم طلب الصحابة ليس زهداً بالدعاء ولكن المفهوم من كلامهم هو رغبتهم القفز على السنن وتجاوز مرحلة الابتلاء الى الامن والتمكين مباشرة فردهم رسول الله صلى اله عليه وسلم الى السنن وعاقبة البلاء بعده هي العز والظهور وبشرهم بالنصر والتمكين لما رأى اليأس في وجوههم



1- التمكين يكون بعد الابتلاء، قال تعالى: {وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ} القصص:5

2- الابتلاء سُنَّةُ الله في خلقه، وهذا واضح فيما يقرر القرآن الكريم، قال تعالى: {وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيُبْلُوكُمْ فِيمَا آتَاكُمْ، إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ} الأنعام: 165

وقال سبحانه: {إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا} الكهف: 7 وقال جل شأنه: {إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا} الإنسان: 2.

بين بلاء التأديب وبلاء الترقية

تتعامل بعض الجماعة مع البلاء التأديبي الذي تكون حكمته الأوبة للحق والذي يعقبه القسم عند العتو والاستكبار

على انه بلاء لرفع الدرجات والتمحيص والذي يعقبه التمكين هنا تقع الجماعة بإشكال كبير فبدلاً من مراجعة الحق والتنقيب عن ما بالنفس يزدد تمسكها بباطلهم وحرصهم على السيورة في انحرافها ويستدلون بوقوع البلاء على صحة الطريق

فالجماعات الاسلامية يفسرون النكبات والانتكاسات التي تصيبهم بشكل متكرر بتفسيرات كربلائية عاطفية فبدلاً من التمحيص في مواقع الخلل يعتبرونه البلاء الذي يدل على صحة الطريق والذي لا بد منه كإرهاصات تتقدم تمكين الاستحقاق

فالبلاء في الطريق ليس دليلاً على صحته دائماً فأهل الباطل يألمون في طريقهم نحو باطلهم كما يألم أهل الحق في سيرهم نحو حقهم

ولكن العبرة في ضبط خطوات السير وفق المنهج الرباني ولو لم تكن إلا وحدك

فبين البلاء الذي يسبق التمكين وبلاء العقاب والتأديب وبين تمكين الاستحقاق وتمكين الاستدراج برازخ تحددها مقدار استقامة الجماعة على الشريعة او انحرافها عن المنهج الرباني

الابتلاء مرتبط بالتمكين ارتباطاً وثيقاً، فلقد جَرَتْ سُنَّةُ الله تعالى ألا يُمَكِّنْ لَأُمَّةٍ إِلَّا بَعْدَ أَنْ تَمُرَ بِمَرَاكِلِ الْإِخْتِبَارِ الْمُخْتَلِفَةِ، وَبَعْدَ أَنْ يَنْصَهَرَ مَعْدِنُهَا فِي بَوْتَقَةِ الْأَحْدَاثِ، فَيَمِيزُ اللهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ، وَهِيَ سُنَّةٌ جَارِيَةٌ عَلَى الْأُمَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ لَا تَتَخَلَفُ، فَقَدْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى أَنْ يَبْتَلِيَ الْمُؤْمِنِينَ وَيَخْتَبِرَهُمْ، لِيَمْحَصَ إِيْمَانَهُمْ ثُمَّ يَكُونَ لَهُمُ التَّمَكِينُ فِي الْأَرْضِ بَعْدَ ذَلِكَ، وَلِذَلِكَ جَاءَ هَذَا الْمَعْنَى عَلَى لِسَانِ الْإِمَامِ الشَّافِعِيِّ حِينَ

سأله رجل: أيهما أفضل للمرء، أن يُمكن أو يبتلى؟ فقال الإمام الشافعي: لا يُمكن حتى يُبتلى، فإن الله تعالى ابتلى نوحًا وإبراهيم، وموسى وعيسى، ومحمدًا صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، فلمَّا صبروا مكنهم، فلا يظن أحد أن يخلص من الألم البتة.

مدة البلاء

يمتد البلاء الترقية الذي يعقبه الاصطفاء والتمكين بمقدر المهمة التي تنتهي لها الجماعة

ويمتد بلاء التأديب بالمقدار الذي تتحرف به الجماعة عن جادة الصراط

للابتلاء حِكْمٌ كثيرة من أهمها:

1-تصفية النفوس:

جعل الله الابتلاء وسيلةً لتصفية نفوس الناس، ومعرفة المحق منهم والمبطل، وذلك لأن المرء قد لا يكشف في الرخاء، لكنه تكشفه الشدة، قال تعالى: {أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ} العنكبوت: 2

2-تربية الجماعة المسلمة:

وفي هذا يقول سيد قطب رحمه الله: «ثم إنَّه الطريق الذي لا طريقَ غيره لإنشاء الجماعة التي تحمل هذه الدعوة وتنهض بتكاليفها، طريق التربية لهذه الجماعة، وإخراج مكنوناتها من الخير والقوة والاحتمال، وهو طريق المزاولة العملية للتكاليف، والمعرفة الواقعية لحقيقة الناس وحقيقة الحياة، ذلك ليثبت على هذه الدعوة أصلب أصحابها عودًا، فهؤلاء هم الذين يصلحون لحملها، إذن بالصبر عليها، فهم عليها مؤتمنون»

3-الكشف عن خبايا النفوس:

وفي هذا المعنى يقول صاحب الظلال: «والله يعلم حقيقة القلوب قبل الابتلاء، ولكنَّ الابتلاء يكشف في عالم الواقع ما هو مكشوفٌ لعلم الله، مُغَيَّبٌ عن علم البشر، فيحاسب الناس إذن على ما يقع من عملهم لا على مجرد ما يعلمه سبحانه من أمرهم، وهو فضلٌ من الله من جانب، وعدلٌ من جانب، وتربيةٌ للناس من جانب، فلا يأخذوا أحدًا إلا بما استعلن من أمره وبما حَقَّقَهُ فعله، فليسوا بأعلم من الله بحقيقة قلبه».

4-الإعداد الحقيقي لتحمل الأمانة:

وفي هذا المعنى يقول صاحب الظلال: «وما بالله – حاشا لله – أن يعذب المؤمنين بالابتلاء، وأن يؤذيههم بالفتنة، ولكنه الإعداد الحقيقي لتحمل الأمانة، فهي في حاجة إلى إعداد خاص لا يتم إلا بالمعاناة العملية للمشاق، وإلا بالاستعلاء الحقيقي على الشهوات، وإلا بالصبر الحقيقي على الآلام، وإلا بالثقة الحقيقية في نصر الله وثوابه على الرغم من طول الفتنة وشدة الابتلاء، والنفس تصهرها الشدائد، فتتفنى عنها الخَبَث وتستجيش كامن قواها المذخورة فتستيقظ وتتجمع، وتطرُقها بعنف وشدة فيشتد عودها ويُصَلَّب ويُصَقَّل، وكذلك تفعل الشدائد بالجماعات، فلا يبقى صامداً إلا أصلبها عوداً وأقواها طبيعة، وأشدها اتصالاً بالله، وثقة فيما عنده من الحسنيين النصر أو الأجر، وهؤلاء هم الذين يُسَلِّمون الراية في النهاية مؤتمنين عليها بعد الاستعداد والاختبار»

5-معرفة حقيقة النفس:

وفي هذا المعنى يقول صاحب الظلال: «وذلك لكي يعرف أصحاب الدعوة حقيقتهم هم أنفسهم، وهم يزاولون الحياة والجهاد مزاولة عملية واقعية، ويعرفوا حقيقة النفس البشرية وخبايها، حقيقة الجماعات والمجتمعات، وهم يرون كيف تصطرع مبادئ دعوتهم مع الشهوات في أنفسهم، وفي أنفس الناس، ويعرفون مداخل الشيطان إلى هذه النفوس، ومزالق الطريق ومسارب الضلال»

6-معرفة قدر الدعوة:

وفي هذا المعنى يقول صاحب الظلال: «وذلك لكي تعزّ هذه الدعوة عليهم، وتغلو بقدر ما يصيبهم في سبيلها من غثّ وبلَاء، ويقدر ما يُضَحَّون في سبيلها من عزيز وغالٍ، فلا يُفِرِّطوا فيها بعد ذلك مهما كانت الأحوال»

7-الدعاية لها:

فصبر المؤمنين على الابتلاء دعوة صامته لهذا الدين وهي التي تدخل الناس في دين الله، ولو وَهَنُوا أو استكانوا لما استجاب لهم أحد

8- جذب بعض العناصر القوية إليها:

وأمام صمود المسلمين وتضحياتهم، تتوق النفوس القوية إلى هذه العقيدة، ومن خلال الصلابة الإيمانية تكبر عند هذه الشخصيات الدعوة وحاملوها، فيسارعون إلى

الإسلام دون تردد، وأعظم الشخصيات التي يعتز بها الإسلام دخلت إلى هذا الدين من خلال هذا الطريق.

9- رفع المنزلة والدرجة عند الله، وتكفير السيئات:

عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول ﷺ: " مَا يُصِيبُ الْمُؤْمِنَ مِنْ شَوْكَةٍ فَمَا فَوْقَهَا إِلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ بِهَا دَرَجَةً، أَوْ حَطَّ عَنْهُ بِهَا حَاطَةً " رواه مسلم (فقد يكون للعبد درجة عند الله تعالى لا يبلغها بعمله فيبتليه الله تعالى حتى يرفعه إليها، كما أن الابتلاء طريق لتكفير سيئات المسلم).

كما أن للابتلاء فوائد عظيمة منها: معرفة عزّ الربوبية وقهرها، معرفة ذلّ العبودية وكسرها، الإخلاص، الإنابة إلى الله والإقبال عليه، التضرّع والدعاء، الجلم عمّن صدرت عنه المصيبة، العفو عن صاحبها، الصبر عليها، الفرح بها لأجل فوائدها، الشكر عليها، رحمة أهل البلاء ومساعدتهم على بلوهم، معرفة قدر نعمة العافية والشكر عليها، ما أعدّه الله تعالى على هذه الفوائد من ثواب الآخرة على اختلاف مراتبها، وغير ذلك من الفوائد.

وبعد فإن ما يحصل من بلاء ومصائب على الساحة السورية ما هو المخاض العسير المتوشح بالدماء امام ميلاد الفجر الجديد والصبح المشرق بتاج النصر والتمكين وستكون نهاية المشهد سقوط الطواغيت بعون الله تعالى

ثانياً: سنة التمكين والاستضعاف

بداية التمكين هو ان تتمكن منا الفكرة فتختلط بأرواحنا ونعيش ونموت لأجلها
وبداية الضعف هو ضعف ارتباطنا بالفكرة

عناصر التمكين و خلل المفاهيم



الوعد الالهي متعلق بشرطه الايمان والعمل الصالح و كلاهما شرط لازم غير كاف
للتمكين

لكن تبقى المشكلة في اختزال المفاهيم الشمولية في معاني ضيقة

كاختزال الايمان بالتصديق الوجداني واختزال العمل الصالح بالشعائر وانزال
المنهج الصحيح على العقيدة واختزال العمل الجماعي في مضائق حزبية منفصلة
عن الامة

وفي قوله تعالى (كما استخلف الذين من قبلهم) دليل على انه سنة ماضية

وسائل التمكين طريقتين: الدعوة والجهاد ، ولكن المشكلة في اختزال المفاهيم الشاملة
ليصبح الجهاد هو القتال مجرد عن الإعداد ثم تسطيح قضية الإعداد ويكتفي بالسلح
التافه الذي يجز الهزيمة والاسراف في مفهوم التواكل السلبي فقط كما أن هناك

طرف اخر يجعل من الجهاد هو جهاد النفس فقط والدعوة دعاية حزبية مغلفة بدعوة إلى الإسلام ولكن بالمقاييس الحزبية للجماعة

تحقيق الشوكة هو من أهم أذرع التمكين والتي تتحقق عندما نوجد حالة من البراء والولاء الجامع للأمة، الولاء المعصب للأمة والبراء المحصن من الدواخل، وإذا اقتصر على الحزب كانت الفتنة والصراع البيئي

لن نحقق شيء من التمكين ونحن نستورد وسائل الصراع من العدو الذي نصارعه، ولن نرفع راية التوحيد إلا بعلوم الدنيا وحراسة الدين بها.

(البلاء طريق التمكين)

من سنة الله تعالى أن لا يرفع بلاء التأديب عن أمة حتى تَفْقَه مُرَادَ الله من البلاء

{ ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم وأمنتم { النساء

بلاء التأديب ينزل على الأمة لتعود للمنهج الرباني وتصحح المسار فإن زاد انحرافها زيد عليها بالبلاء { ولنذيقنهم من العذب الأدنى دون العذاب الأكبر لعلهم يرجعون {

* سنة الله تعالى أن يعقب البلاء بالتمكين بشرط أن تخرج الجماعة برسوخ في الصبر واليقين { وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون {

* التمكين بعد البلاء هو مَحْضُ مِنَّةٍ وليس استحقاق، والمِنَّةُ مُنْطَوِيَةٌ على الحكمة منزهة عن العيب

{ ونريد أن نَمُنَّ على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة {

نلاحظ كثيراً من تجارب الجماعات أجهضت وهي قاب قوسين من التمكين بسبب السقوط في شهوة السلطة والإمارة وشبهات الغلو.

الصبر شرط من شروط الخروج من مرحلة البلاء إلى التمكين والصابر من لا تخرجه الشهوة عن الورع ولا تخرجه الشبهة عن العلم

التمكين قبل البلاء يؤدي لاختلاط الصفوف وربما وصل المفسدون لقيادة مرحلة التمكين فيكون فسادهم أشد مما يقع من البلاء حال الاستضعاف.

* واليقين شرط للتمكين فلا نجوز مرحلة البلاء بروح الهزيمة واليأس ولو كان الواقع كذلك

لا بروح الذين قالوا { **إنا لمُدْرِكُونَ** } ولكن بروح الثقة واليقين { **كلا إن معي ربي سيهدين** }

اليأس صِنُو الكفر ، ولا يُمَكِّنُ الله لأُمَّة أصابها الإحباط والانهازم النفسي والعجز حتى يَلِجَ الجمل في سَمِّ الخياط.

أخطر ما يواجه الأمة في البلاء الوهنُ النفسيّ ، الضعف المادي ، الاستكانة للذل والهوان { **فما وَهَنُوا لِمَا أصابهم في سبيل الله وما ضَعُفُوا وما استكانوا** }

بنو إسرائيل بعد أن نَجَّاهم الله تعالى من فرعون سقطوا في الشبهة فقالوا

{ **اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة** } ثم سقطوا في الشهوة فقالوا { **إنا هاهنا قاعدون** }

في الثورة السورية وقع نفس الأمر، فما فَتَى النَّاسَ يتحرروا من العبودية حتى سقط البعض في شبّهات الغلو والآخر في شهوات الدنيا

ثالثاً :- سُنَّة النصر والهزيمة



أول قواعد النصر أن النصر من عند الله،

وحينما يتوهم المسلمون أن النصر من الاسباب المادية من كثرة او قائد او عتاد فقد وقعوا في وهم كبير ربما يسلبهم النصر

قال تعالى (وما النصر الا من عند الله) الانفال

النصر يكون لمن أخذ بأسبابه وأعد له العدة الإيمانية والمادية،

قال تعالى: {إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ} محمد: 7 وقال تعالى: {وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ} الأنفال: 60

عندما تجتمع شروط النصر من الايمان والاعداد والاخلاص والتجرد يكون هذا النصر من نوع

1- نصر الاستحقاق قال تعالى (وكان حقا علينا نصر المؤمنين) الروم
2- نصر التفضل يعني ان المسلمين ليس كما ينبغي ولكن وجود الله تعالى عليهم بالنصر لحكمة ارادها كما نصر الله تعالى بني اسرائيل على فرعون على كثرة
عللهم

3- النصر المبدئي وليس بالضرورة حصول التمكين دائما لقد انتصر سحرة موسى وقد قطعت أرجلهم وايديهم من خلاف وانتصر الغلام وقتل بسهام جند الملك حين نطقوا بسم الله رب الغلام حيث دلهم على طريقة قتله بعد عجزهم عن ذلك في محاولات عديدة وقد انتصر أهل الأخدود وقذف بهم الى محرقة أتت على آخرهم , و والله إنه لنصر عظيم عودة ورجوع الكثيرين من أهل الشام لربهم ودينهم بعد طول غربة وضلال وجفوة قال تعالى (ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر لعلهم يرجعون) السجدة

وفضح النظام وزبانيته أمام عامة الناس بعد خدعه للناس خمسة عقود و والله إنه لنصر كبير كشف القناع عن نصر اللات وحزب الشيطان بل الشيعة قاطبة ومذهبهم وإيضاح زيف منظمات أممية وحقوق إنسان خادعة منافقة مزيفة وكذلك فضح زيغ أصدقاء وأعداء الشعب السوري من شرق وغرب وناثو عداك عن إزالة القناع عن الدب الروسي والذئب الإيراني والتنين الصيني. هنا يجب ان ندرك أن الانتصارات الكبرى التي وقعت في التاريخ لم تكن حدثا مفردا أو فجأة وانما كان تتويجا لسلسلة من الانتصارات الصغيرة وفي مجالات متعددة

والنصر قد يُبطل على الذين ظلموا وأخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا: ربنا الله، فيكون هذا الإبطاء لحكمة يريدنا الله: كما يبين سيد قطب الإمام الشهيد المجاهد السيد / سيد قطب.

1-قد يبطل النصر لأنّ بنية الأمة المؤمنة لم تنضج بعد نضجها، ولم يتم بعد تمامها، ولم تحشد بعد طاقاتها، ولم تتحفز كل خلية وتتجمع لتعرف أقصى المذخور فيها من قوى واستعدادات، فلو نالت النصر حينئذ لفقدته وشيكاً لعدم قدرتها على حمايته طويلاً.

2-وقد يبطل النصر حتى تبذل الأمة المؤمنة آخر ما في طوقها من قوة، وآخر ما تملكه من رصيد، فلا تستبقي عزيزاً ولا غالياً، لا تبذله هيناً رخيصاً في سبيل الله.

3-وقد يبطل النصر حتى تُجرب الأمة المؤمنة آخر قواها، فتدرك أن هذه القوى وحدها بدون سندٍ من الله لا تكفل النصر، إنّما ينزل النصر من عند الله عندما تبذل آخر ما في طوقها ثم تكمل الأمر بعدها إلى الله.

4-وقد يبطل النصر لتزيد الأمة المؤمنة صلتها بالله، وهي تعاني وتتألم وتبذل ولا تجد لها سنداً إلا الله، ولا متوجّهاً إلا إليه وحده في الضراء، وهذه الصلة هي الضمانة الأولى لاستقامتها على النهج بعد النصر عندما يتأذن الله به، فلا تطغى ولا تتحرف عن الحق والعدل والخير الذي نصرها الله به.

5-وقد يبطل النصر لأنّ الأمة المؤمنة لم تتجرد بعد في كفاحها وبذلها وتضحيتها لله ولدعوته، فهي تقاتل لمغنم تحقّقه، أو تقاتل حمية لذاتها، أو تقاتل شجاعة أمام أعدائها، والله يريد أن يكون الجهاد له وحده وفي سبيله، بريئاً من المشاعر الأخرى التي تلابسه، وقد سئل النبي صلى الله عليه وسلم: الرجل يقاتل حميةً والرجل يقاتل شجاعةً والرجل يقاتل ليُرى، فأيهما في سبيل الله؟ فقال "من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله".

6-كما قد يبطل النصر لأنّ في الشر الذي تكافحه الأمة المؤمنة بقيةً خير، يُريد الله أن يُجرد الشرّ منها ليتمحص خالصاً، ويذهب وحده هالكاً، لا تتلبس به ذرة من خير تذهب في الغمار!

7-وقد يبطل النصر لأنّ الباطل الذي تحاربه الأمة لم ينكشف زيفه للناس تماماً، فلو غلبه المؤمنون حينئذ فقد يجد له أنصاراً من المخدوعين فيه، لم يقتنعوا بعد بفساده وضرورة زواله، فتظلّ له جذور في نفوس الأبرياء الذين لم تتكشف لهم الحقيقة، فيشاء الله أن يظلّ الباطل حتى يتكشّف عارياً للناس، ويذهب غير مأسوفٍ عليه من ذي بقية.

8-وقد يبطل النصر لأنّ البيئة لا تصلح بعدُ لاستقبال الخير والحق والعدل الذي تمثله الأمة المؤمنة، فلو انتصرت حينئذ للقيت معارضةً من البيئة لا يستقرّ لها قرار، فيظل الصراع قائماً حتى تنتهي النفوس من حوله لاستقبال الحق الظافر، ولاستبقائه!

ومن أجل هذا كله ومن أجل غيره مما يعلمه الله، قد يُبطئ النصر، فتتضاعف التضحيات، وتتضاعف الآلام، مع دفاع الله عن الذين آمنوا وتحقيق النصر لهم في النهاية.

وللنصر تكاليفه وأعباؤه حين يتأذن الله به بعد استيفاء أسبابه وأداء ثمنه وتهيؤ الجوَّ حوله لاستقباله واستبقائه {وَلْيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ * الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَاللَّهُ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ} الحج:40-41

فوعُدَّ الله الوثيق المؤكّد المتحقق الذي لا يتخلف هو أن ينصر من ينصره، فمن هم هؤلاء الذين ينصرون الله فيستحقون نصر الله القوي العزيز الذي لا يهزم من تولاه؟ أنهم هؤلاء: {الذين إن مكّناهم في الأرض} فحققنا لهم النصر وثبتنا لهم الأمر {أقاموا الصلاة}،،،

علينا دائما ان نميز بين جولات الباطل وانتصار الحق

: قال تعالى ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون 105 {الأنبياء: 105}.

الوراثة للأرض حاصلة لا محالة لعباد الله الصالحين وهذا متوقف على اهلية الوارث ورشده لاستلام ميراثه

هناك من لا يؤمن بانتصار فكرته إلا إذا قطف ثمرتها بيده قد نرمي بذار ثورة فيجتني ثمرها اجيال تأتي من بعدنا ولكن حسبنا أن نقضي ونحن على العهد لا نبيع ولا نساوم

قال تعالى(فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ۖ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَقَّئِكَ فَأَلَيْنَا يَرْجِعُونَ)

رابعاً :- سنة المدافعة

الثورة هي مدافعة اهل الحق في وجه الباطل



المدافعة للظالم بحيث لا يعمُ فساده في الأرض سنة من سنن الله تعالى

تحدّث عنها البيان الإلهي عنها في موضعين من كتاب الله:

* قال الله تعالى: {وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ} البقرة: 251

* وقال سبحانه {وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهْذَمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ} الحج: 40

في الآيتين نلاحظ:

1- أنّ هذه السنّة -سنة المدافعة- تشمل كلّ الناس وليست خاصّة بأهل الإيمان والحق.

2- نلاحظ أنّ الآية الأولى تكلمت عن سنة المدافعة لمنع فساد الدنيا والثانية تحدّثت عن سنة المدافعة في سياق حماية الدين.

3- وأنّ هذه السنّة هي نعمة من الله تعالى على المؤمنين يمكن للمؤمنين الاستفادة منها كما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم في منعة المشركين مثل عمه ابي

طالب والمطعم بن عدي بداية الدعوة واستجار الصحابة بالنجاشي في عهد الضعف وأقاموا التحالفات مع المشركين من قبيلة كِنانة في عهد التمكين الجزئي .

4- أن سنة دفع أهل الحق لأهل الباطل في الآية الثانية مرتبطة بسنة أخرى وهي سنة الانتصار لله تعالى حتى ينصرنا،.

سنة المدافعة هي عملية تنازع البقاء للأصلح والأفضل في حَمَاة صراع الحق مع الباطل، وهنا لا بد من حصر أنواع الصراعات وموقف أهل الإيمان من كل منها:

أولاً- صراع أهل الحق مع أهل الباطل أزلِّي قديمٍ مستمر:

وهو الذي بدأ من صراع آدم مع إبليس إلى أن يُقتل المسيح بن مريم عليه السلام المسيح الدجال.

كانت رحلة الأنبياء تتجلى في بث هذه المبادئ بين الناس، ولكن غالبية القوم يجادلون ويستهزئون ويحاربون بكل الأساليب الإعلامية والاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية إلى أن تصل أحياناً إلى محاولات الطرد والنفي والاعتقال لأصحاب الدعوات، وقد ينشُب بينهما حربٌ عسكرية، وفي النهاية تكون العقاب للمتقين الآخذين بمنهج الله تعالى سبيلاً لهم ووعوا سُنة في كونه، فأعدوا العدة الإيمانية والعلمية والعسكرية، يكتنفها إرادة لا تلين كما هو واضح في قصة طالوت وجالوت، وكيف أن الله نصر الفئة المؤمنة حينما انتفضت قلوبهم انتفاضة إيمانية وأخذوا بسلاح العلم والقوة العسكرية، وعاشت قلوبهم إرادة التمكين في الأرض فكانت الهزيمة لأعدائهم رغم تفوقهم العددي والعتادي.

السنة الثابتة للتدافع بين الجاهلية والإسلام لن تترك التيار الإسلامي يستوعب الواقع الجاهلي بجماهيره وقوته دون أن تمنعه.

ومن هنا نشأ مفهوم حتمية العمل العسكري... بحيث يصل هو الآخر إلى مرحلة السنة الثابتة للعمل الإسلامي.

ولذلك قرر ورقة بن نوفل لرسول الله صلى الله عليه وسلم حقيقة المعادة باعتبارها سنة ثابتة من سنن الثوابت، وليس باعتبارها حقيقة مستخلصة من خبرة الواقع.

فكانت حقيقة التدافع هي الحقيقة الأولى التي قالها للنبي صلى الله عليه وسلم بعد حقيقة الوحي من حديث ورقة، إذ قال له بعد إخباره بالنبوة: يا ليتني كنت جذعاً إذ يخرجك قومك. قال: " أو مخرجي هم؟! "

قال: نعم... ما أتى أحد بمثل ما أتيت به إلا أخرج وعُودي". صحيح البخاري كتاب بدء الوحي (1/30/3 ح 3 - فتح الباري).

وفي النهاية يكون الصلاح والخير والنماء بقيام الجماعة الخيرة المهتدية المتجرّدة.

ثانياً - صراع أهل الباطل مع أهل الباطل:

لعلّ الصراع بين أهل الباطل قد يكون نظرة عقائدية، فيرى الفريق الأول أنه على الحق ودونه الباطل، ومن هنا تستجيش العاطفة الإيمانية للوقوف قلبياً مع الأقرب للحق، وهذا ما لاحظناه من حرب الروم والفرس، فتمنى المؤمنون أن يُنصر أهل الروم لأنهم أهل كتاب، بل إن الله سماه نصرًا من عنده فقال: {غَلَبَتِ الرُّومُ * فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ * فِي بَضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدِ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ * بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصِرُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ} الروم: 1-3

وقد يكون الصراع صراعاً دنيوياً لنهب المصالح والسيطرة الدائمة لنيل الشهوات فما حدث في الحربين العالميتين الأولى والثانية أوضح دليل

فكان اللجوء للتحالفات على أساس مصلحة دون مصلحة، وهذا ما حدا بإيطاليا بأن تنقلب على حلفائها في الحرب العالمية الثانية

في هذه الحالة على المسلمين احترام العهود والمواثيق والتصرف بناء عليها.

ثالثاً - تدافع أهل الحق مع أهل الحق:

والسؤال المطروح هل الحق يتعدّد؟

لقد قسم العلماء الحق إلى ثلاثة أقسام:

1- حقٌّ مُطلق وهو الله جل شأنه.

2- وحقٌّ مُحكّم، وهو ما نزل من الكتاب أو ما حدّث به النبي فيكون نصّاً قطعيّ الصّحة واضح الدلالة.

3- وحقٌّ نسبيّ، فيكون في مجال الفروع أو أمور محدثات الحياة ما لم يقع نصٌّ قطعيّ الصّحة وواضح الدلالة، فيكون الاختلاف فيه نسبة إلى الفهم أو عدم وصول النصّ الصّحيح، فيتولد في الاختلاف تدافع للوصول إلى أحقّ الحقيّين، وهذا التدافع أصلٌ في حياة الناس، فهو عاملٌ لتحرك الحياة، والسباق الخيريّ فيه نحو الأفضل والأكمل يكون بارتفاع الهمم واتّضاح معاني الخير ودرجاتها وتصاعدها وأنواعها،

فعدم التطور هلاكٌ، وهو منطق الفقه، فالتنافس يشكل عاملاً مهماً في تنمية الحياة وترشيد مسارها والتخلص من الأخطاء والانحرافات، ولكن هذه الحصيلة من العمران الحضاري بالأفكار والعلوم والآداب لم تمنع من قيام تناقضات بجانبها أصلها ابتداءً أو صراعٌ على السلطة، فكان العمل الإصلاحي الاستدراكي المتنوع متمثلاً بأدب الخلاف هو السبيل لحل الإشكالات إذا خلصت النوايا وبنيت الثقة، متمثلين برأي الشافعي حين قال: رأيي صوابٌ يَحْتَمِلُ الخطأ، ورأيي غيري خطأً يَحْتَمِلُ الصَّواب.

وقد يصل الأمر إلى محاولات رد للغزو الخارجي بسبب التناقض البشري، فكان الجهاد واضعين كل خلافاتنا وراء ظهورنا متوحدين لإزالة العدو ومحاولاته.

تحتاج الثورة السورية الى استثمار سنة المدافعة في ايجاد الحلفاء وتحيد الخصوم وترتيب الاولويات في المواجهة

خامساً :- سنة الله في الظلم والظالمين (قانون الظلم)

الثورة هي سيف الله القاطع المسلط على رقاب الظالمين

سنة ما ضية من سنن الله تعالى ولا تميز بين ظالم مسلم او ظالم كافر



قال تعالى (فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ). النمل: 52.

تكرار ربط النتيجة بالعمل في (بما ظلموا) يؤكد قضية السببية والعلئية.

وقوله (تعالى) إخبارًا عن رسله: { فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ . وَلَنُسَكِّنَنَّكُمْ
الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ } [إبراهيم : 13، 14]

وفي تذييل الآية الكريمة بهذا التذييل بيان لعلية الحكم السابق في صدرها؛ وبيان لمن تكون له العقاب، كما يرى صاحب التحرير والتنوير: أن (التذييل للوعيد ينتزل منزلة التعليل، أي لأنه لا يفلح الظالمون، ستكون عقبي الدار للمسلمين، لا لكم، لأنكم ظالمون). تفسير التنوير والتحرير لابن عاشور (417 / 12)،

قال تعالى: {وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا} الكهف: 59

في قوله تعالى (القرى) بصيغة الجمع دليل على أن الاهلاك ليس حدث متفرد وانما هو قضاء وسنة تطل كل قرية تمادت بالظلم

فجعل تعالى التلازم بين الظلم والهلاك تلازما سببيا وجعل موعد وساعة الاهلاك غيب يجليها لوقتها هو تعالى على ما تقتضه الحكمة الربانية

يقول العلامة ابن خلدون **الظلم مؤذن بزوال العمران**

ويقول شيخ الاسلام ابن تيمية **إن الله يقيم دولة العدل ولو كانت كافرة ويهدم دولة الظلم ولو كانت مسلمة**

تسليط الظالمين على الظالمين

(وَكَذَلِكَ نُؤَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ)، الأنعام: 129

وقال الإمام الرازي في تفسير هذه الآية: (الآية تدل على أن الرعية متى كانوا ظالمين فانه (تعالى) يسلط عليهم ظالماً مثلهم ، فإن أرادوا أن يتخلصوا من ذلك الأمير الظالم فليتركوا الظلم) - تفسير الرازي ، ج13 ، ص 194 .

المراحل التي تسبق قصم الظالمين

- 1- (ولقد ارسلنا الى امم من قبلك) الدعوة البيانية بإرسال الرسل والحجة
- 2- (فأخذناهم بالأساء والضراء لعلمهم يتضرعون) البلاء التأديبي
- 3- (فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم ابواب كل شيء) ثم تأتي مرحلة الرخاء الاستدراجي

- 4- (حتى اذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة) مرحلة القصم والإهلاك
 - 5- (قطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين) الانعام النهائية من موانع وقوع الهلاك نشاط الجهاز المناعي للامة في الاصلاح والامر بالمعروف والنهي عن المنكر
- قال تعالى (وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ) هود في صحيح الترمذي من حديث أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب من عنده).

ضمانات خاصة لهذه الامة

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ اللَّهَ زَوَى لِي الْأَرْضَ فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مُلْكُهَا مَا زَوَى لِي مِنْهَا وَأُعْطِيَتِ الْكَنْزَيْنِ الْأَحْمَرَ وَالْأَبْيَضَ وَإِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي لِأُمَّتِي أَنْ لَا يُهْلِكَهَا بِسَنَةِ عَامَةٍ وَأَنْ لَا يُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ فَيَسْتَبِيحَ بَيْنَتَهُمْ وَإِنَّ رَبِّي قَالَ يَا مُحَمَّدُ إِنِّي إِذَا قَضَيْتُ قَضَاءً فَإِنَّهُ لَا يَرُدُّ وَإِنِّي أَعْطَيْتُكَ لِأُمَّتِكَ أَنْ لَا أَهْلِكُهُمْ بِسَنَةِ عَامَةٍ وَأَنْ لَا أُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ يَسْتَبِيحُ بَيْنَتَهُمْ وَلَوْ اجْتَمَعَ عَلَيْهِمْ مَنْ بِأَفْطَارِهَا أَوْ قَالَ مَنْ بَيْنَ أَفْطَارِهَا حَتَّى يَكُونَ بَعْضُهُمْ يُهْلِكُ بَعْضًا وَيَسْبِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا

اخرجه مسلم

سادساً: - إزالة النعمة بالكفر ودوامها بالشكر،

الثورة هي قدر الله الذي يسلطه على أقوام كفروا نعمة الله واحلوا قومهم دار البوار ليسلبهم النعمة التي كفروها ويورثها لقوم آخرين

قال تعالى: {كَمْ تَرَكَوْا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ * وَنَعْمَةً كَانُوا فِيهَا فَالْكٰهِنِينَ * كَذٰلِكَ وَأَوْرَثْنٰهَا قَوْمًا آخَرِينَ} الدخان: 25-28،

وقال تعالى: {وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ} إبراهيم: 7



يَمُنُّ اللهُ تَعَالَى عَلَى الْجَمَاعَةِ الْمَجَاهِدَةِ بِالتَّمَكِينِ الْجَزْئِيِّ اخْتِبَاراً لَهُمْ وَتَمَحِيصاً ،

فإن أدوا حق الشكر وقاموا بواجب التمكين جاد عليهم بالتمكين الكلي،

وإن لم يكونوا لنعمته أهلاً وتتكبوا عن أعباء الاستخلاف أركسهم في وهدة الاستضعاف، من جديد

{قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عُدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ} الأعراف: 129 فالاستخلاف والتمكين والنصر بحد ذاتها نوع اختبار على النعمة المسداة فنعمة الاستخلاف لها استحقاقاتها وشكرها العملي كما قال تعالى

{الذين إن مكناهم في الارض اقاموا الصلاة وآتوا الزكاة أمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر والله عاقبة الامور } الحج

فعندما يمنحك الله نعمة القوة فمن لوازم شكر هذه النعمة أن تسخرها لنصرة الحق والمظلومين وأن لا تجعلها ظهيراً للطغاة والمجرمين فتكفرها

قال تعالى عن موسى عليه السلام (قال ربي بما أنعمت علي فلن أكون ظهيرا للمجرمين) القصص

يقص الله تعالى علينا من القصص القرآني عن قوم سبأ الذين كانوا يعيشون في جنة ورخاء فكفروا بنعمة الله تعالى فحالت جنتهم صحراء قاحلة

لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ (15) فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِي أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثَلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ (16) ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهُمْ أَهْلُ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ (17) سبأ

إن الثورة السورية من النعم الكبرى التي انعم الله بها على شعبنا وهي الفرصة التاريخية التي قد يصعب تكرارها لتنتعق امتنا من قبضة الطواغيت وتنعم بحريتها فعلياً ان نحفظ هذه النعمة من الزوال بحسن ادارة ملفاتها على نحو يفضي الى تحقيق اهدافها ولا نجعلها فترة لتلبية الرغبات النفسية لمن يشتهي الامارة او المنصب او المال وساحة لتجار الحروب والدماء بل ان هذه النعمة تقتضي منا ان نكون قوامين بالقسط والعدل مجاهدين في سبيلها متفانين في انجاحها

وَادْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (26)

سابعاً :- سُنَّةُ التَّيِّهِ وَالرُّشْدِ:

الثورة هي مرحلة التي ينقلب فيها التائه على ذاته يتلمس طريق الخلاص ويبحث عن سبيل الرشاد



يقع التيه عند رفض الأمة التكليف ويقع الرشد عندما تُحمَلُ التكليف، قال تعالى:
**﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ
 الْفَاسِقِينَ﴾ المائدة:26**

في عصر التيه تكون الأمة بين حالتين، لا هي داخلة في حكم الطغاة ولا هي داخلة
 في شريعة التكليف. تتحرر الاجساد من قيود الطغاة ولكن النفوس لاتزال ترسف
 بأغلال الهوان

التيه هو مرحلة الاستشفاء لأمة تكاثرت عليها العِلل فكان لا بُدَّ من عزلها في أجواء
 خاصّة لتتلقى التربية الناجعة.

بقاء الرسالة بدون جماعة تحملها أهون عند الله من أن يقومَ بحملها من ليس لها
 أهلاً، وانتظار المعجزات الكونية في ذلك لا يُجدي. فإن العصا التي فلقَت البحر ما
 كان لها أن تفلق العِلل النفسية والامراض القلبية التي فتكت ببني اسرائيل

لا يُمكن أن يَتِمَّ ذلك إلا من خلال السنن الجارية وليس من خلال السنن الخارقة.

من ابرز سمات مرحلة التيه

1-ترك جهاد الأمة والاقتصار على النخبة، قال تعالى حكاية عن بني إسرائيل:
﴿فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ المائدة:24، وترك الجهاد لم يكن هو
 مبدأ العِلل، بل هو نهاية تراكم العِلل النفسية من حب العيش والوهن النفسي.
 والخور والجبن

2-كثرة الجدل والتعمق في الأسئلة التافهة وأخذ الأمر الشرعي بالاستهزاء، قال
 تعالى: **﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ
 أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ * قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ﴾ البقرة:67-68**

3-الاجتراء على سفك الدماء (بالمعنى الأدق تنفيذ الاغتيالات السريّة) وقصة البقرة
إنّما كانت بعد عملية اغتيالٍ سرية. {وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَارَأْتُمْ فِيهِ {

4-التفرّق إلى أحزاب وجماعات، قال تعالى: {وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَّمًا مِّنْهُمْ
الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ { الأعراف:168

5-الفراغ القيادي الذي تعيشه الجماعة بعد تمردّها على قيادتها الرشيدة قال تعالى:
{وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا { الكهف:60

6-التنافس على الموارد، قال تعالى: {وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنْ
اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ {
الأعراف:160

7-وُفُورُ الْمَلَدَاتِ بدون عناء، قال تعالى: {وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوىٰ كُلُوا مِنْ
طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ { البقرة:57

8-بلادَةُ الذوقِ واستبدال الذي هو أدنى بالذي هو خير، قال تعالى: {قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ
الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ { البقرة:61

9-قسوة القلب إلى درجة التحجّر، والجفاف الإيماني العاطفي قال تعالى: {ثُمَّ قَسَتْ
قُلُوبُكُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً { البقرة:74

10-الإيمان بالحيثيات والشك في الغيبيات، قال تعالى: {فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً
فَأَخَذْنَاهُمُ الصَّاعِقَةَ بظلمهم { النساء:153

11-التشربُ بتقديس الأصنام المعنوية والمادية، قال تعالى {وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ
الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ، قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ { البقرة:93

ولكن يبقى السؤال بعد التأصيل هل يصحّ التنزيل على حالنا؟ وإن صحّ التنزيل على
واقعا فبأيّ مراحلٍ التيه نحن؟ هل نحن في طور الدخول أم في طور الخروج أم
بين بين؟

-على ما يبدو أن كل أمة تخرج لتوها من الحُكْمِ الجبريِّ الاستبداديّ تبقى تحمل في
كوامينها عللَ التربية المذلة بعد استمراء الذلّ والهوان، ولعل هذا من حكمة الله تعالى
أن يتربّي موسى في بيت عزٍّ ومنعةٍ بعيداً عن واقع الذلّ الذي عاشه قومه {وَلِتُصْنَعَ
عَلَىٰ عَيْنِي { طه:39

-التربية الفرعونية المذلة لبني اسرائيل وطول فترة الاستعباد جعلت بني اسرائيل أمة غير قادرة على التحول من حالة الاستعباد لحالة السيادة. بطفرة سريعة

«-دخولهم بحالة التقليد فقولهم ﴿قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ وجدأهم بقضية البقرة وهو أمر رباني واضح لا يحتاج للجدل هو محاولة للهروب من التكليف الربانية، فكانت فترة التيه أو بمعنى الحصار الذي يولد في النفس رغبة عارمة للحرية مهما كانت تكاليفها، فكان الجيل الذي خرج مع يوشع بن نون عليه السلام.

حتى تخرج الجماعات الاسلامية من حالة الوهن والتهيه

عليها ان تقوم بالقياس الصحيح مع العلل النفسية والامراض الاجتماعية التي اصابته أهل الكتاب من الإسرائيليين لتشخيص الداء والعلاج بشكل صحيح بناء على قوله صلى الله عليه وسلم

﴿لَتَتَّبِعَنَّ سَنَنْ مَنْ قَبْلَكُمْ شَبْرًا بِشَبْرٍ وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ حَتَّىٰ لَوْ سَلَكَوا جُحْرَ ضَبٍّ لَسَلَكَتُمُوهُ﴾ (البخاري

ولا يصح قياسهم على المرحلة المكية مرحلة بلاء الاستضعاف في السيرة النبوية لبعد الشقة بين الحاليين ولكمية الامراض النفسية التي تحملها هذه الجماعات

هل انتقلت الحركات الإسلامية من السفه إلى الرشد؟

لقد نهى البيان الإلهي وليّ البيتيم أشدّ النهي عن إيتاء السفهاء أموالهم قبل الاختبار لهم على جزء منه، فإن التمسنا منهم رُشداً دفعنا إليهم المال، وإن كانوا يراهقون في السفه بقي الجحْر عليهم ملازماً، قال تعالى: ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا﴾ النساء: 5 وقال تعالى: ﴿وَابْتَلُوا الْيَتَامَىٰ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ﴾ النساء: 6

وما ينطبق على سَفَهٍ فَرْدٍ ينسحب على سفه أمة.

إذا أراد الله تعالى أن ينشل الأمة من حال الاستضعاف إلى التمكين اختبرها بشيء من التمكين الجزئي، فإن أثبتت من نفسها رُشداً نقلها من التمكين الجزئي إلى

التمكين الكلي، وإن بقيت تراهق في السفه أرْكَسها في الضعف وحَجَرَ عليها خلافة الأرض إلى حين، فهل يخالف الله ما ينهانا عنه؟ هيهات

إن الأمة التي تخرج لتوها من قبضة الطواغيت لا غرو ان تنيه عن طريق الخلاص حتى تتلمسه وتتعرف على معالمه فبعد كل انطلاقة سريعة لا بد من فترة تخبط حتى تستقيم الجماعة على طريق الرشد وتثبت عليه

ثامناً :- سُنَّة الاستبدال التي تطالُّ الدُول والجماعات والأمم:

إن الثورات الناجحة هي الثورات التي من المفترض ان تنجز عملية الاستبدال الحضاري ببذور الحضارة الفتية البازغة بدلا عن تلك الآفة التي وصلت للشيخوخة واليباس



من سنن الله تعالى الثابتة أنه لم يربط التمكين لهذا الدين بفردي أو أمة أو جماعة أو قوم أو بلد، عندما اجذبت مكة عن الاستجابة لدعوة رسول الله نصره تعالى بأهل المدينة.

وعندما توفي رسول الله وظن البعض أن الإسلام انتهى بموت محمد أنزل تعالى **﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾** آل عمران: 144

وقال أبو بكر رضي الله عنه بعد وفاة رسول الله من كان يعبد محمد فإن محمد قد مات ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت.

ولم يجعل نصره الدين والرسالة حكراً على قوم دون قوم.

عندما تنكّب العرب عن حمل راية الجهاد ورد صيال الصليبيين حملها الكُرد (نور الدين الشهيد وصلاح الدين)

ولما تنكّب الكُرد عنها، ذب عن بيضة الإسلام المماليك ودحروا هجمة التتار (المظفر قطز)

ثم حمل راية الجهاد والدفاع عن بيضة الأمة السلاجقة والأتراك (محمد الفاتح)

وكذلك كان في المغرب البربر ومنهم القائد (يوسف بن تاشفين) يرُدُّ عادية الفرنجة ويستتجد به المعتمد بن عباد.

هذا الأمر يدل أن الإسلام رسالة ذاتية القوة وأن البلدان والأقوام والجماعات والأفراد هم من يعتزّ بحمله وليس الإسلام من يعتزّ بهم، قال تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ**

أَمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى
الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ
فَضْلُ اللَّهِ... { المائدة: 54

فالاستبدال لكل أمة تتولى عن حمل الرسالة ونصرة الدين بأقوام آخرين سنة ثابتة،

وقد ورد ذكر الاستبدال في موضعين من كتاب الله تعالى

قال تعالى (إِلَّا تَنْفَرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّهُ شَيْئًا ۗ
وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) التوبة 39

وقال تعالى: {وَإِنْ تَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ} محمد: 38

سقوط الأفراد والجماعات على طريق الدعوة والجهاد وبقاء الدين محفوظاً يُخبرنا
أن هذا الدين من عند الله ويحذرنا من التخلي عن نصرته.

قد يقع التلبس على من يحكم بظاهر الحال عندما نرى جماعة تقوم بالجهاد وتقدم
التضحيات ثم تقع عليها سنة الاستبدال عند ذلك علينا ان نتفحص ظاهر الجهاد الذي
تقوم به فنجد انه مجرد قتال خرج عن مقاصد الجهاد بالانحراف عن ضوابطه
الشرعية فلا يكاد ينفك ذكر الجهاد عن قيد (سبيل الله) في كتاب الله حتى يكون
السائر على تيقظ في كل خطوة من تيه السبل باصراً لمعالم طريق الجهاد لانه
العبادة التي يكثر فيه انزلاق السائرين عن سبيل الله فكم من باذل للجهد المضاعف
ضل عن سبيل الله لشبهة أو شهوة وهو يظن نفسه على سيرة الصحابة الكرام

من سنن الله الغالبة التي لا تُحابي ولا تجامل وتتسم بالثبات والاضطراد أن القدرات
البشرية محدودة العطاء تصل أحياناً إلى درجة النضوب والعجز عن استمرارية
العمل لهذا الدين.

وهذا ناتج عن محدودية القدرة البشرية وقصور أفراد الجماعة بطاقتهم العلمية
والعقلية والبدنية، وعلى مستوى الجماعات قصور التخطيط والرؤية الاستراتيجية
البعيدة المدى والملائمة للمتغيرات المتسارعة فوق قدرات الاستيعاب.

هنا الجماعة التي كانت لها الصدارة في خدمة الدين تصبح مع الزمن عاجزة عن
القيام بواجبها، بل قد تكون عقبة في طريق تحقيق هذا الواجب، وهنا يتحول دور
الفرد والجماعة من الريادة إلى النصح والإرشاد.

المشكلة أن بعض الجماعات تأتي أن تتنازل عن الريادة بدوافع من الهوى
والأمراض الحزبية، وربما يدفعها الأمر إلى الدخول في صراعات مع الجماعات

الأخرى فيكون الاستبدال بطريقة غير مُشرّفة، هنا يقع الاستبدال، والمعصوم من عَصَمَهُ اللهُ.

لذلك علينا نحن_ من يدعي العمل للإسلام_ أن نستعدّ جماعاتٍ وأفراداً لُنُسَلِّمَ الراية لمن بعدنا. ولا نخوض صراع البقاء مع الاجيال التي ستحمل الراية من بعدنا

لم تكن العقوب الكبرى التي وقعت على بني اسرائيل المسخ والتيه وتسليط العدو عليهم بل كانت هذه العقوبات من قبيل الزجر والتربية لعلمهم يرعوا ولكن عليهم النفسية استعصت على الدواء فكان العقاب الإلهي الحاسم بالاستبدال والعزل عن حمل الرسالة ونقلها من ابناء يعقوب الى ابناء اسماعيل

وان ثورة الشعب لن تتوقف ولن تنتهي ولكن ربما ينتهي افراد وجماعة جفت قدرتها على العطاء فتمضي عليهم سنة الاستبدال

تاسعاً: - سنّة التغيير

إن الثورة في ابسط فلسفتها هي انقلاب نحو التغيير الى الافضل والاصل ان تكون تغييراً على كل المستويات السياسي والاخلاقي والاجتماعي والفكري وليست عملية اعادة لصياغة الطغاة



يحدثنا البيان الرباني عن حالتين من التغيير

1- الحالة السلبية للتغيير من حال القوة والتمكين الى حالة الذل والاستضعاف

قال تعالى (ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (53))

قال الرازي في هذه الآية: إن كلام جميع المفسرين يدل على أن المراد : أي إن الله تعالى لا يغير ما بقوم من النعمة والعافية بأن يسلبها منهم حتى يغيروا ما بأنفسهم من النعم بإنزال الانتقام منهم إلا بأن يكون منهم المعاصي والفساد (الرازي ، 22/19)

ويرى الماوردي (75/2)، في معنى التغيير أن يقتضي خمسة أحوال وذلك في تفسيره لقوله عز وجل { ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ } { يحتمل خمسة أوجه :

أحدها : لم يك مغيراً نعمتها عليهم بالنصر لهم على أعدائهم حتى يغيروا ما بأنفسهم من الثقة به والتوكل عليه .

والثاني : لم يك مغيراً نعمته عليهم في كف أعدائهم عنهم حتى يغيروا ما بأنفسهم من طاعته والكف عن معصيته .

والثالث : لم يك مغيراً نعمته عليهم في الغنى والسعة حتى يغيروا ما بأنفسهم . من تأدية حق الله تعالى منه .

والرابع : لم يك مغيراً نعمته في الثواب والجزاء حتى يغيروا ما بأنفسهم من الإيمان

والخامس : لم يك مغيراً نعمته عليهم في الإرشاد حتى يغيروا ما بأنفسهم من الانقياد.

2- الحالة الايجابية للتغيير من حال الضعف والذل الى حال القوة والتمكين والعزة

، قال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ۗ} الرعد:11

إن الله لا يُغَيِّرُ الظروف الاجتماعية السيئة من القهر والظلم وتسليط الاعداء في مجتمع ما حتى يغيروا في أخلاقهم وسلوكهم ويلتزموا منهج خالقهم

بعث الله تعالى الأنبياء والرسل لأداء الرسالة وتغيير الأوضاع الفاسدة في أقوامهم، فبَلَّغُوا وَغَيَّرُوا، وقد بعث الله كلَّ رسولٍ إلى قومه إلا الرسول ﷺ بعثه للعالمين.

لدى الأحزاب الإسلامية إشكالية كبيرة في التغيير، فهم يسلكون مسلك التغيير بالعنف والقوة أو بالميزات والأعطيات، هذا الأسلوب ينمي الحالة النفاقية التي لا يُضَمَّن ولاؤها إلا بالعصا والجزرة وليس بالاندفاع الذاتي، لذلك تشكّل خاصرة رَخوة في التنظيمات مما يحملها على مضاعفة الجهد الأمني لمراقبتها داخل الجماعة.

ضيق مساحة الحوار مع المخالف وعدم قدرة الأحزاب على تحمّل الرأي الآخر ربما لضعف الحُجَّة_ يحملُه على العدول عن أسلوب الإقناع العقلي والتحريك الوجداني لإحداث التغيير المطلوب.

-علاقة الإنسان بالكون والمجتمع تضبطها نواميس وقوانين لا تتغيّر ولا تتبدّل، قال تعالى:

{قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ* هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ} آل عمران: 137-138

{قُلْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلًا} فاطر: 43

-الإنسان محرّك فاعل ومغيّر، ومُنطَلَق ذلك نفسه وإرادته {إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ} الرعد:11

أولاً: مفهوم التغيير:

الانتقال من وضع موجود إلى وضع أحسن منشود.

ثانياً: مؤشرات:

-البعد عن الله تعالى.

-ضعف العبادات وإهمالها.

-اليأس والملل وفقدان لذة الحياة.

-انتشار الفساد ووجود الخلل على مستوى النفس والمجتمع (الذهنيّات، النظم، القيم، السلوكيات)، لذلك لا بدّ من استشعار المسؤولية أمام هذه الأوضاع وإلا سينزل عقاب الله تعالى: ﴿وَأَنْفُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ {الأنفال:25}

-ضعف أو انعدام الإنتاج والعطاء.

-اضطراب سلم الأولويات.

ثالثاً: مجالات التغيير:

يتجه الكثير من حملة المشروع الاسلامي الى تغيير السلوك مباشرة وبطريقة الاكراه وهذا الامر يخلق حالة من الالتزام النفاقي غير نابعة من فكر وعاطفة لذلك تكون هشة المضمون

لذلك كان لا بد في تغيير السلوك من البدء من الافكار والعواطف

-تغيير الأفكار والقيم والذهنيات والقناعات. والاهداف والعواطف

-تغيير السلوكيات (السلوك ثمرة من ثمرات الفكر).

-تغيير الوضعيات.

-تغيير القدوات.

رابعاً: قواعد التغيير:

* احترام السنن: البدء بالنهاي عن الذنوب الكبرى قبل الصغرى، والتدرج في الوسائل: عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله يقول: (من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان) [رواه مسلم].

* الإرادة الجادة.

* الصبر على مشاقّ التغيير.

* وجود مُساند، قال تعالى: {هُوَ الَّذِي أَيْدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ} الأنفال:62

* حسن التخطيط.

خامساً: خلاصات

-الشعورُ بالألم وبالخطر أولُ خطوةٍ نحوَ التغيير.

-تحديد أهداف التغيير.

-التدرج في وسائل التغيير، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلمه وذلك أضعف الإيمان) [رواه مسلم].

سادساً: شروط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

-الاستطاعة: يسقط الإثم عند العجز عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

-أن يكون المنكر معلوماً من غير اجتهاد.

- أن يكون المنكر مجمعاً على تحريمه وليس فيه اختلاف معتبرٌ بين أهل العلم

-أن يكون المنكر ظاهراً من غير تجسس.

-مراعاة التدرج في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

-ألا يُفضي الأمرُ أو النهيُ إلى مفسدةٍ أعظم، لأنَّ الشريعةَ الإسلاميةَ تحرص على تحصيل المصالح، ودفع المفساد، وقد قسم ابن القيم في "أعلام الموقعين" إنكارَ المنكر إلى أربع درجات:

-الأولى: أن يزول المنكر ويخلفه ضده.

-الثانية: أن يَوقَفَ وإن لم يَزَلْ بجملته.

-الثالثة: أن يتساويا.

-الرابعة: أن يخلفه ما هو أشد منه.

وخلُصَ إلى أن الدرجتين الأوليين مشروعتان، وأما الثالثة موضع اجتهاد، والرابعة محرّمة.

نخلص الى ان عملية اسقاط النظام هي عملية تغيير مركبة تقتضي منا العمل في كل النواحي والمجالات لاسقاط كل الموروث الثقافي والخلل التربوي المتراكم الذي ورثناه من هذا النظام لاعداد اجيال متعافية من تربية هذا النظام وهذا يقتضي منا ان ننحو في عملية التغيير منحى السنة الربانية في تغيير المجتمع في الفكر والعاطفة والسلوك والاهداف والقدرات والرموز

عاشرا: سنة الكيد والتآمر:



هناك آراء تصل الى طرفي نقيض بين من يرفض نظرية المؤامرة بتاتاَ ويعتبر نظرية المؤامرة بحد ذاتها مؤامرة فيقع فيما كان ينهى عنه

وبين المهوسون في تفسير كل حدث ومصاب بشماعة المؤامرة والكيد العالمي للمسلمين ناسيا للثغرات التي نحدثها نحن وينفذ منها المتآمرون

والحقيقة أن تأمر الاعداء علينا شيء قررته النصوص الصريحة وبالجم الكبير الضارب بأطنابه

قال تعالى (وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ (46) ابراهيم

قال تعالى {إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا وَأَكِيدُ كَيْدًا فَمَهْلِ الْكَافِرِينَ أَمْهَلُهُمْ رُوَيْدًا} (الطارق 15-17)، {وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ} (الأعراف 183)

ويحدثنا البيان الالهي انهم ينفقون الاموال الطائلة للصد عن سبيل الله وتمير مؤامراتهم

قال تعالى { إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ (36) { الانفال

فالتأمر على الحق قديم وها قد تأمر غرب وشرق وعرب تأمر روس وفرس وشيعة ويهود ونصارى وشيوعيون ومغرضون ومناقفون على هذه الثورة بل لقد تأمر

العالم بأثره إلا من رحم ربي على إجهاض هذه الثورة المباركة لالشيء إلا لأنها رفعت راية إسلامية سنوية في غالبيتها

هناك سلاحان ما إن تمسكنا بهما فستتكسر كل المؤامرات العالمية امام صخرة ثبتنا عليها التقوى والصبر

{وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئاً إن الله بما يعملون محيط} (آل عمران 120) وعندما نذكر التقوى نخص بالذكر التقوى من المعاصي السياسية خاصة كالفرقة واختلاف الكلمة والتحزب وترك الجهاد والركون والوهن وحب الدنيا فهذه الفراغات هي التي ينفذ منها الاعداء لتمرير كيدهم لنا فكان لزاماً علينا أن نسد هذه الثغرات

والصبر على المبادئ في مواجهة الطغيان العالمي

فليتذكر أهلينا مع هذا التآمر العظيم والتخاذل المتصاعد الشديد أنها سنة ربانية فقد تأمر قوم إبراهيم وقذفوه بالنار وجاء الرد الرباني {قلنا يا نار كوني بردا وسلاما على إبراهيم} (الأنبياء 69)

، قال تعالى {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكْبَرًا مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ} (الأنعام : 123)

نار المؤامرة والفتنة يستطيع ان يشعلها أي احد ولكن لا يمكن له أن يظل متحكماً في مساراتها وقد تتجه الى حرق بيته

لذلك لست مع الذين يفسرون ان المارقة هي مؤامرة مخابراتية للأنظمة العالمية تستثمر في تشوهاتنا وليست هي من يصنعها |

واجتمعت قريش وقبائلها لقتل رسول الله ضربة رجل واحد فأذن الله له بالهجرة وتآمرت قريش وقبائل العرب واجتمعت على حربه فكانت معركة الأحزاب وغزوة الخندق وهزم الجمع فلا ضير قومي وإن شاء الله {سيهزم الجمع ويولون الدبر} (القمر45)، {الَّذِينَ ءَامَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا} (النساء761).

الخلاصة ان المشكلة كامن في قابليتنا لابتلاع طعم المؤامرة والوقوع في شركها

ولسيت في المؤامرة بحد ذاتها فالجاهل يفعل بنفسه ما لا يفعله عدوه به كما يقول مالك بن نبي المشكلة في قابليتنا للاستعمار وليس في الاستعمار

إن اهم ما نستطيع أن نواجه به الكيد والتأمر العالمي على ثورتنا المباركة هو بناء المؤسسات الثورية التي تستطيع ان تحمل قضيتنا من المظلة السياسية الى المرجعية الشرعية والمؤسسة العسكرية المتمثلة بالجيش الحر الى حكومة خدمية قادرة على ادارة المناطق المحررة بهذه الاجسام نستطع ان نسوق اننا اصحاب ثورة شعب والا سنبقى اقرب لوصف العصابة منا الى الثورة المحترمة

إحدى عشر : - تلازم الشقاء مع الفساد والسعادة مع الصلاح،

قال تعالى:



ظهر تدل أن الفساد موجود وأن المؤاخذه تكون حالما يظهر الفساد للعيان (في البر والبحر) دليل على أن المؤاخذه تكون عندما يعم ويطم ولا تكون عندما يكون محدوداً محصوراً

(بما كسبت أيدي الناس) هذا الربط السببي لظهور الفساد
(ليذيقهم بعض الذي عملوا) حينها يقع البلاء

عَنْ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُنَّ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، دَخَلَ عَلَيْهَا فَرَعًا يَقُولُ: " لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَيَلُّ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرِّ قَدِ اقْتَرَبَ، فُتِحَ الْيَوْمَ مِنْ رَدْمٍ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مِثْلَ هَذِهِ " وَحَلَّقَ بِإِصْبَعِهِ الْإِبْهَامَ وَالَّتِي تَلِيهَا، قَالَتْ زَيْنَبُ بِنْتُ جَحْشٍ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ: أَنَهْلِكُ وَفِينَا الصَّالِحُونَ؟ قَالَ: " نَعَمْ إِذَا كَثُرَ الْخَبْثُ " رواه البخاري (3346) ومسلم (2880) .

(لعلهم يرجعون) للبلاء حكمة وهو ان يؤوب الشارد الى رشده

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ قَالَ أَقْبَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ فَقَالَ: (يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ خَمْسٌ إِذَا ابْتَلَيْتُمْ بِهِنَّ وَأَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ تُدْرِكُوهُنَّ

1- لَمْ تَظْهَرِ الْفَاجِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ حَتَّى يُعْلِنُوا بِهَا إِلَّا فَسَا فِيهِمُ الطَّاعُونَ وَالْأَوْجَاعُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ مَضَتْ فِي أَسْلَافِهِمُ الَّذِينَ مَضُوا

2- وَلَمْ يَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِلَّا أَخَذُوا بِالسِّنِينَ وَشِدَّةِ الْمُتُونَةِ وَجَوْرِ السُّلْطَانِ عَلَيْهِمْ

3- وَلَمْ يَمْنَعُوا زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ إِلَّا مَنَعُوا الْقَطْرَ مِنَ السَّمَاءِ وَلَوْلَا الْبَهَائِمُ لَمْ يُمَطَّرُوا

4-وَلَمْ يَنْفُضُوا عَهْدَ اللَّهِ وَعَهْدَ رَسُولِهِ إِلَّا سَلَطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ غَيْرِهِمْ فَأَخَذُوا
بَعْضَ مَا فِي أَيْدِيهِمْ

5-وَمَا لَمْ تَحْكَمْ أَيْمَنَّهُمْ بِكِتَابِ اللَّهِ وَيَتَخَيَّرُوا مِمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَّا جَعَلَ اللَّهُ بِأَسْهُمِ بَيْنَهُمْ
[رواه ابن ماجة والحاكم]

وقال تعالى: {مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنَّىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً ۖ
وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}{النحل:97}

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " مَثَلُ الْقَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللَّهِ وَالْوَاقِعِ فِيهَا، كَمَثَلِ
قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ، فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلَاهَا وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا، فَكَانَ الَّذِينَ فِي
أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَفَقُوا مِنَ الْمَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ، فَقَالُوا: لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا
خَرْقًا وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا، فَإِنْ يَتْرُكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا، وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى
أَيْدِيهِمْ نَجَّوْا، وَنَجَّوْا جَمِيعًا " رواه البخاري

اثنا عشر / سنة التداول



قد علمنا القرآن الكريم أن التداول سنة من سنن الله في الاجتماع الإنساني، وعبر تاريخ الأمم والحضارات قال تعالى [وتلك الأيام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين] آل عمران كذلك تحدثت السنة النبوية عن السنن الحاكمة لخط سير المستقبل في أمة الاسلام، تلك التي تتمثل في دورات الصعود والهبوط.. والتقدم والتراجع.. والجمود والتقليد.. والاجتهاد والتجديد، فقال صلى الله عليه وسلم: « لا يلبث الجور بعدي إلا قليلاً حتى يطلع، فكلما طلع من الجور شيء ذهب من العدل مثله، حتى يولد في الجور من لا يعرف غيره، ثم يأتي الله تبارك وتعالى بالعدل، فكلما جاء من العدل شيء ذهب من الجور مثله، حتى يولد في العدل من لا يعرف غيره» - رواه الإمام احمد - وقال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: «بيعت الله لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها أمر دينها» - رواه أبو داود -.

في الاجتماع الانساني خير الجماعات من اجتمعت على الفكرة، وشرها من اجتمعت على الشهوة والدنيا والمصالح، وبينهما من اجتمع على العصبية لعشيرة أو شخص

في عصر النبوة والخلافة الراشدة كان اجتماع الأمة على الفكرة والعقيدة، وفي عصر الملك العضوض قام العقد السياسي على العصبية فكانت تسمى الدولة باسم العشيرة، وفي عصر الحكم الجبري قام العقد السياسي للأمة على الشهوة والغريزة والمصالح

أطوار العقد الاجتماعي

لا يمكن لأي عملية تعصيب اجتماعي أن تكتمل على عقد جامع إلا بعد دراسة فسيفساء أفكار ورغبات وعصبيات هذا المجتمع ومساحة هذه الأطوار على رقعته.

يقسم الأستاذ مالك بن نبي الأطوار الحضارية إلى ثلاثة أطوار: 1- طور الروح 2- طور العقل 3- طور الغريزة

1- طُور الروح

(والإيمان حيث تتميز الأفكار وتجتمع الأمة حول فكرة جامعة تقوى بقوة الارتباط بها وتضعفُ بضعف الارتباط بها، وهذا ما كان عليه الحال منذ بعثة النبي ﷺ إلى موقعة صفين التي شكّلت أول حالة من الاصطدام بين أبناء الأمة، و كانت الخلافة من قبلُ ترتبطُ بتقديم من يحمل الدين، وكان الاختيار يتم لمن هو الأكثر ارتباطاً بالفكرة الإسلامية ولم تسمّ الدولة باسم حاكمها فلم نسمع من قال الدولة البكرية أو الدولة العمرية وإن كانت تظهر بعض العصبية العابرة لكنها لم تُكنْ تعبّر عن السمة العامة للأمة ثم لتدخل الأمة في الطور الثاني).

2- طور العقل

(في طور العقل تتراجع الأفكار قليلاً ويتقدّم الإنسان والعصبية ، وهنا دخلت الأمة في حقبة الملك العضوض الذي لا يمكن أن يقوم إلا على العصبية، وظاهرة اليمانية والقيسية إبان الحكم الأموي هي أحد مفرزاتها حيث صار اسم الدولة مرتبطاً باسم العائلة التي تحكم، هنا لا بُدّ للعصبية من استعمالٍ مفرطٍ للقوة لتصفية المعارضين واستعمال العصبية القبليّة في ضرب المعارضة وهذا الأمر لا يمكن إلا بسفك الدماء وتصفية الخصوم لأن الفكرة الجامعة للأمة ضامرة).

في مرحلة العصبية لا يمكن أن تجتمع الأمة إلا بتشكيل هذه العصبية والهيمنة على العصبية الأخرى، وقد راعى الإسلام هذه الناحية فجعل الإمامة في قريش الأمر الذي فسره ابن خلدون أنه لِعَلّة العصبية لأنّ العرب لا يمكن أن تجتمع إلا على قريش.

3- طور الغرائز

، في هذا الطور تزداد الفكرة ضموراً وينفرط عقد العصبية لتتفوق الأشياء (عالم المحسوسات) من المتاع كما هو الحال في مرحلة الملك الجبري.

المُلك الجَبْرِيُّ يقوم بتوطيد المُلك على أساس تجميع المنتفعين وأصحاب المصالح، حتى النظام النصيري لم يكن طائفيًا 100% بل إنَّه استطاع تجميع أصحاب المصالح ومن كل الطوائف، ولم تكن العصبية للطائفة وإيجاد فكرة البعث إلا لتنظيم المصالح والتدروء بها، حتى إنَّ من تسموا بالرفاق (البعثيين) عندما تعارضت مقتضيات الحكم مع وجود البعض قاموا بقتل رفاق النضال.

بالعودة على بدء لا ننفي أنَّ العصبية والغرائز لم تكن موجودة في الطور الأول، من ميلاد الأمة كانت موجودةً وأحياناً تطفو إلى السطح بشدة، فكان رسول الله يروضها بما يتناسب مع تدعيم الفكرة وتقويتها فمن مراعاته للعصبية كان كل رجل يقاتل تحت راية قومه ولكن الرؤية الجامعة هي لإعلاء كلمة الله وليس لإعلاء كلمة العشيرة، وكان يكرم كل كريم قوم ويؤمِّره عليهم.

حتى قضية الغرائز والشهوات كان هناك مصرف من مصارف الزكاة للمؤلفة قلوبهم، وقد أثر النبي مسلمة الفتح وحرَم الأنصار من غنائم حُنين، ولكن لم تكن هذه العناصر لتصل إلى الدائرة الصلبة من الأمة، ولكنه ضَمِن بذلك ولاءها وحَيَّدَ عداءها، ذلك أنَّ من الناس من لا ينقاد إلا ببطنه وشهوته ومنهم من ينقاد بعقله وقلبه. عند وصول الامة الى هذا الدرك من الانحطاط يشدُّ تألم الناس من صرعات الاهواء ويشدُّ تطلعهم الى المجدد المخلص لتبدأ دورة حضارية اخرى نحو الصعود والنهوض

النتيجة:

من العبث بمكان أن ندعو أمة مُغرقةً في الشهوات أن تتوحّد بالاجتماع على الفكرة أو العصبية. الا اذا فرضت الفكرة بالقوة حينها ستسقط بسقوط القوة المتبنية لها

والساحة السورية الآن تنتشر فيها المظاهر الثلاثة خصوصاً في مرحلة صراعات الأفكار والعصبيات والغرائز التي تموج بها الساحة، ولكي تتم الولادة السليمة لعقد اجتماعي يعبر فيه البلد للمرحلة القادمة لا بُدَّ من دراسة هذه الأطوار الثلاثة وتحديد سُبُل توظيفها بتحديد نسبتها وتأثيرها وإمكانية احتوائها وصهرها في المشهد القادم لأنَّ المُلاحظ أنَّ هناك تنظيمات عصبية في الساحة وهناك تنظيمات مُأدلجة، وهناك تنظيمات مصلحة.

وعليه يجب أن نختار أحد الطريقتين في توحيد هذه المتباينات..

السقوط الحضاري لا يكون فجائياً وشاقولياً، وإنما يأخذ شكل منحني دائري قد تطول مسافته، فبعد حوالي مئة سنة من فتح المسلمين للأندلس بدأ خط الانحدار بعد معركة بلاط الشهداء حيث لم يتقدم الفتح الإسلامي خطوة واحدة وبدأ الانحسار تدريجياً، وما يقال عن السقوط نقوله عن النهوض الذي يأخذ أيضاً شكلاً متدرجاً ثم يتسارع إلى الأعلى ليصل إلى الذروة لتكتمل الدورة الحضارية للأمة. من جديد

ثلاثة عشر : - سنة التدرج : فأما التدرج فهو سنة كونية، وسنة شرعية أيضاً.

والتدرج ليس مقصوداً لذاته خصوصاً بعد اكتمال الشريعة والدين ولكنه ضبط لخطوات الإقامة للشريعة على حسب القدرة والامكان فالذي يحدد المسافة بين الدرجة والتي تعلوها تمتع الجماعة بالاستطاعة والقدرة التي يناط بها التكليف وليس بالضرورة ان نقسم مراحل عملنا الى مرحلة مكينة ومدنية لنسقط تجربة السيرة بحذافيرها على عمل الجماعات الاسلامية

قال تعالى (وخلقناكم أطوار) هذا في التكوين

وقد ذم الله تعالى الخمر في موضعين وحرّمها في الثالثة هذا في التشريع



وقد بدأ الإسلام بالدعوة إلى التوحيد وتثبيت العقيدة السليمة، ثم كان التشريع شيئاً فشيئاً. فقد فرضت الفرائض وحرمت المحرمات بالتدرج، كما هو ثابت في فرض الصلاة والصيام والزكاة، وتحريم الخمر وغيرها، ولهذا افترق القرآن المكي عن المدني.

وفي هذا المعنى تقول عائشة رضي الله عنها، واصفة تدرج التشريع ونزول القرآن: إنما أنزل أول ما أنزل من القرآن سور فيها ذكر الجنة والنار، حتى إذا ثاب الناس

إلى الإسلام، نزل الحلال والحرام، ولو نزل أول شيء: لا تشربوا الخمر ولا تزنوا،
لقالوا: لا ندع الخمر ولا الزنى أبداً [رواه البخاري].

وعن عبد الله بن الزبير ، يَقُولُ : حَدَّثَنِي خَالَتِي يَعْنِي عَائِشَةَ ، قَالَتْ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " يَا عَائِشَةُ ، لَوْلَا أَنَّ قَوْمَكَ حَدِيثُوا عَهْدِ بَشِيرِكِ ، لَهَدَمْتُ الْكَعْبَةَ ، فَأَلزَفْتُهَا بِالْأَرْضِ ، وَجَعَلْتُ لَهَا بَابَيْنِ : بَابًا شَرْفِيًّا ، وَبَابًا عَرَبِيًّا ، وَزِدْتُ فِيهَا سِنَّةً أُدْرِعُ مِنَ الْحَجْرِ ، فَإِنَّ فُرَيْشًا أَقْنَصَرْتُهَا حَيْثُ بَنَتِ الْكَعْبَةَ [مسلم]

حتى في انكار المنكر ينبغي لنا مراعاة التدرج فلا ينكر المنكر اذا ادى الى منكر أكبر

ومن هنا كان على الذين يدعون إلى استئناف الحياة الإسلامية، وإقامة دولة الإسلام في الأرض، أن يراعوا سنة التدرج في تحقيق ما يريدون من أهداف، آخذين في الاعتبار سمو الهدف، ومبلغ الإمكانيات، وكثرة المعوقات.

ويحضرني هنا مثل من سيرة الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز خامس الراشدين المهديين المقتدى بهم، فقد أراد عمر أن يعود بالحياة إلى هدي الخلفاء الأربعة وذلك بعد أن يتمكن ويمسك الخيوط في يديه، ولكن كان ابنه الشاب الغيور عبد الملك من الأتقياء المتحمسين، ينكر على أبيه عدم إسرعه في إزالة كل بقايا الانحراف والمظالم و المنكرات على أثارها، ورد الأمور إلى سنن الراشدين، فقال له يوماً: مالك يا أبت لا تنفذ الأمور؟ فو الله ما أبالي، لو أن القدر غلت بي وبك في الحق!

فكان جواب الأب الفقيه المؤمن: لا تعجل يا بني، فإن الله ذم الخمر في القرآن مرتين، وحرّمها في الثالثة، وإنّي أخاف أن أحمل الناس على الحق جملة فيدعوه جملة، فيكون من ذا فتنة [الموافقات 94/2]

ومن هنا نزل القرآن الكريم على الرسول صلى الله عليه وسلم متدرجاً، وفي ذلك يقول عز وجل: {وقال الذين كفروا لولا أنزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلاً} (الفرقان:32).

لابد من التدرج في عملية التغيير وعدم استخدام أسلوب الصدمة المفاجئة لإحداث وفرض تغييرات شاملة في مرة واحدة. فالثقافة الإنسانية كما قلنا سابقاً هي حصيلة

تراكم تاريخي متشعب في أعماق النفس لا يمكن تغييره بسهولة إذ «إن الكائنات البشرية تملك إرثاً اجتماعياً كما تملك إرثاً بيولوجياً والثقافة هي راسب التاريخ فهي تضم تلك الجوانب من الماضي التي ظلت قائمة حتى عصرنا الحاضر فالتاريخ يمثل أكثر من زاوية شيئاً أشبه ما يكون بالمنخل أو المصفاة» (21). بل لا بد من التدرج الطبيعي القائم على مبدأ الإقناع والتبصير فقد يؤدي التغيير القسري الشامل إلى ردود فعل عكسية ويولد آثاراً سلبية يمكن أن تخلق مشكلات ثقافية ونفسية جديدة. وقد تعددت النظريات التي تبحث في الأسلوب الأفضل لعملية التغيير السليم، «فهناك نظرية التغيير المتدرج الذي يبدأ بالأمور البسيطة ثم يتدرج إلى أمور أصعب ونظرية التغيير المرحلي التي تقسم التغيير إلى مراحل بالتتابع وبمنطق تراكم الآثار الناتجة عن التغييرات المرحلية يتحقق الهدف النهائي لعملية التغيير،

فالمرء يتعجل النتائج ويستبطن إحراز الهدف، وإذا فعل الداعية ذلك فسيكون مثله كمثل الزارع الذي يحصد الثمرة قبل نضجها، واستعجال الامر قبل اونه يعود على المتعجل بالحرمان فيكون بذلك قد خسر جهداً بذله في زراعتها، وخسر الثمرة التي قطفها قبل أوان نضجها. وقد شبه الله تعالى بناء الجماعة المسلمة من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بمراحل نمو الزرع

قال تعالى **ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيُغَيِّظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ (29) محمد**

فالقفز من مرحلة اخراج الشطاء الى مرحلة الاستواء على السوق دون مرحلة الإستغلاظ حين ذلك لن يعجب الكفار

كما جاء في حديث معاذ لما ارسله سول الله صلى الله عليه وسلم داعية الى اليمن

عن ابن عباس أن معاذاً قال بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إنك تأتي قوما من أهل الكتاب فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد في قرائهم فإن هم أطاعوا لذلك فأياك وكرائم أموالهم واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب [مسلم]

نلحظ في الحديث ان الانتقال من مرحلة الى التي تليها منوط بالاستجابة لما دعي اليه ابتداء

ووجوه الحكمة في التدرج كثيرة ، منها رفع الحرج ، الذي يكون بالانتقال الفجائي من حال إلى حال مما قد يؤدي إلى رفض الهداية والنفور منها ، ومنها أن فيه تمرساً وخبرة بما يتم إنجازه ، يساعد كثيراً على نجاح ما ينتظر تطبيقه ، فيكون في التوالي اكتساباً لحكمة تطبيقية ، تفيد أيما إفادة في إنضاج تطبيق الأحكام ، لتصل أقصى أمد لها في الإصلاح .

من هنا نقرر ان تحميل الثورة السورية ما لا تطيق من الاهداف والمطالب ورفع السقف قد يؤدي للعودة على كل الاهداف الممكنة بالخيبة وقد تضاعف علينا الخسارة بل ربما يحتاج منا فقه التدرج احيانا ان نعود خطوات الى الوراء لكي نستطيع استئناف المسير برشد واقتدار الى الامام من جديد

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

المصادر والمراجع

- 1- مفهوم السنن الربانية دراسة في ضوء القرآن الكريم أ.د. رمضان خميس زكي
- 2- السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد في الشريعة الإسلامية تأليف الدكتور عبد الكريم زيدان
- 3- تفسير الظلال للسيد قطب طبعة دار الشروق
- 4- محاضرات للدكتور عبد الكريم بكار عن السنن الربانية
- 5- ابحاث من شبكة الالوكة عن فقه السنن الكونية